مقالات من تراث الخمسينات

دراسات في القومية العربية

89

ثَوريّة العَمل القَومِي

- القومية العربية في مفهومها الصّحيح
- الدّين والحركة العربيّة البنّاءة
- شهداء العروبة وواجب الشباب العربي







منشورات الطليعة



ثورية العمل القومي

مقالات مختارة من تراث الخمسينات

لن تسقط الراية من يدنا

•

في هذا الظرف الغريب ... في هذا الاتون الملتهب ... في هذا الجو الحالك المخيف الذي يكتنف العروبة في سائر أجزائها ، تنهض (الايمان) من جديد حاملة لواءها ... لواءها الذي طالما كان قذى في عيون الشعوبيين .. والاقليميين وأعداء الحياة الكريمة التي نريدها لأمتنا.

نحمل الاواء الأغر لواء القومية العربية ، ونحن نلمح عيونا ترمقنا ... تقدح بالشرر ... وتبيت السوء لكل دعوة عربية تقدمية تستهدف الخير لهذا الشعب العربي .

ولكننا سنرفع الراية ونسير .

إن أهدافنا واضحة ... نريد وحدة عربية ، ونحن بهذا نحارب الاقليمية كفكرة ، ولكننا لا نحارب الاقليميين كأشخاص ، لانهم أخوان

عرب يجب أن نساعدهم على فهم واقعهم العربي .

ونريد الحرية ... لان كرامة الانسان لاتتحقق الا بها، ولأن الفرد العربي لا يمكنه أن يبدع وهو مكبل بأصفاد العبودية وقيودها . ولذا فنحن نحارب الاستعمار وأذناب الاستعمار ... ونحارب الدكتاتورية والاستبداد ، ونعتبر كل طاغية مستبد مغتصبا لحقوق الشعب ويجب أن نسترد منه هذه الحقوق ... وقاطع طريق يجب أن نشحذ أمكانياتنا للقضاء عليه .

ونريد العدالة الاجتماعية ، لنعطي كل فرد عربي الامكانية التامة ليُسهم في بناء الأمة العربية. ولنقطع خط الرجعة على المبادىء الهدامة.. تلك التي تتمسح بالاشتراكية لتقوض معالم الحياة الفاضلة بفلسفتها الاخرى ومغرياتها الحمراء .

نريد حياة تقدمية كريمة ... تسهم فيها المرأة العربية بنصيب كبير، فمن الجرم أن نضع الفتاة في قمقم سليمان ونحرم عليها الحياة . ونريد أن تتمسك الفتاة بالفضيلة لانها فضيلة ... ولانها ترى نفسها أكبر من أن تزل وأرفع من تسقط . ولا تمتنع عن الرذيلة لانها حبيسة الدار وحولها حراس غلاظ .

وبعد فنريد الكثير وفق أهدافنا الثلاثة : الوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية .

وقد رفعنا الراية ولن تسقط من يدنا .

عبد الله احمد حسين

1 أبريل 1955



ثورية العمل القومي

•

العمل القومي مفروض على كل مواطن عربي ، لأن الواقع العربي اليوم يستلزم هذا العمل . ولهذا العمل خصائص وميزات ومراحل يسير عليها ،فهو ليس ارتجالياً ولا فردياً ولا يختص في زمن أو مكان معين . ثم إنه ـ وهذه صفة تجمع كل الصفات السابقة ـ ثوري قبل كل شيء .
ولتفسير ثورية العمل القومي ينبغي أن ننظر قليلاً في واقعنا لنرى كيف يجب ان تساير هذه الثورية الاحداث الجارية ، فالوطن العربي مجزأ إلى كيانات هزيلة ، والوطن العربي بوضعه الراهن تسيطر عليه قوى مسيرة غريبة عنه ، ولن يستطيع أي جزء مستقل منه ـ إذا جاز لنا ان نسميه كذلك ـ أن يحافظ على استقلاله ـ المؤقت ـ هذا ، إلا إذا تفاعل مع بقية الشعوب العربية الطامحة إلى الوحدة والى التحرر والحرية. والتفاعل هذا هو الذي يجب ان نركز عليه في عملنا القومي ، والتفاعل هذا هو الذي يوجب ثورية العمل القومي ، وهو الذي يفرض هذه الثورية فرضاً على كل عربي .

والثورية معناها العنف والصمود ، وهاتان الصفتان يجب ان تتوفرا معاً في كل عمل قومي لأن الوطن العربي مهدد، وأي مهادنة من جانبنا للأعداء معناها نهايتنا ، والاعداء الذين نعنيهم هنا هم الرجعية والاستعمار ممثلاً باسرائيل والنفوذ الاجنبي والمعاهدات والأحـــلاف العسكرية ؛ والعنف لا يعني الفوضى ، بل هو العنف المنظم الذي تقف وراءه عقول



مدبرة مجربة صارمة تستطيع أن تفرض نفسها بمبادئها وقدرتها على الأخذ بزمام المبادرة في كل موقف يفرضه الصراع بين الطرفين – التجزئة من جهة والارادة المصممة الواعية للوحدة من جهة أخرى – والصمود يعني الاستعداد للوقوف أطول مدى ممكن أمام العدو ، بما يتطلبه هذا الوقوف من تضحية وجرأة واستبسال ، ثم وجود الرصيد أو الاحتياطي الكافي الذي يستطيع ان يستمر في هذا الوقوف الباسل كلما لزم الأمر ، وبهذا نرى أن الصمود هو الوقوف الى النهاية .. نهاية العدو . فالأخذ بزمام المبادرة في كل موقف في صراعنا مع العدو ، ثم الوقوف الباسل الذي يدعمه الاحتياطي المستعد هو ما نعنيه بثورية العمل القومي .

ولا بد للعمل القومي من قاعدة يرتكز عليها ، وتنبثق هذه القاعدة عن الشعب الواعي لمشاكله وحلولها ، وبغير القاعدة لا ينتظم العمل الثوري ، وهنا يبرز دور إعداد هذه القاعدة ، وهذا عمل ثوري آخر منظم يفرضه واقع الوطن العربي على الشباب العرب المنتشرين في كل جزء من الوطن ويجب ان يترك المجال حراً لأولئك النفر ان يعملوا بوحي من ارادتهم المصممة الواعية ، وان يكون عملهم هذا ثورياً حسب ما يتطلبه الجزء من الوطن الذي يوجدون فيه .

والشعب العربي كله الآن مستعد ان يتظاهر ضد الاحلاف وان يهتف ضد اسرائيل والاستعمار ؛ وعلينا ان نستغل هذا الهجوم العنيف الصارم المركز على الفئة الحاكمة في كل محاولة يشتم منها رائحة الاستعمار .

والعمل الاعدادي السلبي الثوري ، يتبعه عمل ايجابي ثوري هو دور التفاعل أو معركة الوحدة التي يجب ان يخوضها الشعب العربي بكامل قواه وفي جميع اجزائه ، وهذه المعركة لا تأخذ شكلاً معيناً ولا مكاناً معيناً ؛ انها معركة تعين مكانها وشكلها الظروف التي ستكون .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان هذه المعركة لن تنظر الى الفروق بين



جزء وآخر من اجزاء الوطن بالنسبة لتحرره من الاستعمار ، بل تعتبر ان اي جزء سيكون هدفه الاتحاد مع أي جزء آخر اما بضم ذلك الجزء اليه او بضمه الى ذلك الجزء ولا فرق في ذلك ، لأن اتحاد اي جزئين وسيلة لا غاية لذاته بل هو وسيلة للتحرر وهـــذه الوسيلة تضمن القوة الناتجة عن تفاعل الشعب العربي في الجزئين ، وهذا التفاعـــل هو الذي سيستمر دون ابطاء في المعركة التي بدأها ولن يتخلى الشعب العربي في هذه المعركة عن الثورية ، أي العنف والصمود الى النهاية .. نهاية العدو.

زهير القاسم

• • •

القومية العربية في مفهومها الصحيح

•

القومية العربية في مفهوم الطليعة ذات اسس ثلاثة تتركز في الوحدة العربية والحرية والعدالة الاجتماعية ، على أن هذه الأسس ليست مجرد مبادىء جمعت من هنا وهناك دون رابط يربطها ، أو روح واحـدة تسيطر عليها ، وانما هي مبادىء آمنت بها الطليعة ودعت اليها وجعلتها أساساً لدعوتها ، لانها تنبع من مفهوم اكبر منها جميعاً ، يضمهـــا وتنبعث هي منه بالضرورة كما ينبعث الشعاع من وهج النار . هـــذا المفهوم الاكبر الذي تستند اليه الطليعة في مبدئها وغايتها ووسيلتها هو أن الانسان كائن حي من حقه ان يحيا حراً شريفاً قادراً عـــلى أن يحقق امكانياته ، وأن يفيـــد ، وأن يستفيد دون ان يستغل أو يُستغل .



هذه الحقيقة العظيمة التي تكمن وراء ايمان الطليعة بمبادئها وغاياتها ووسائلها اذا ادركناها حق الادراك ، وتشبعنا بروحها تمام التشبع لم نعد بحاجة الى ان نسأل بين الآونة والأخرى عن آراء هذه الطليعة في بعض المشاكل العارضة لأن فيها حل العقد الفكرية جميعاً التي تعترض الفرد العربي أينما توجه .

ومن هذه المشاكل التي تعرض احياناً مشكلة القومية . هل هي غاية او وسيلة ؟ وهل يمكن ان تزول ضرورتها يوماً؟ وغير هذا من الاسئلة التي تطرأ على الاذهان .

وجواب هذه الاسئلة هو في تلك الحقيقة التي ذكرنا . فالقومية حقيقة واقعة عميقة تنبع من ضرورات المجتمع الانساني الكبير . وهي ككل الحقائق الانسانية والطبيعية غير قابلة للتشكك في وجودها او ضرورتها ، أو في البحث في كونها وسيلة او غاية ، مثلها مثل العائلة التي هي كذلك حقيقة واقعة عميقة تنبع من ضرورات المجتمع الانساني، فلا يخطر في بالنا ان نتشكك في وجودها او ضرورتها .

على ان القومية تنبع دائماً من شعور الجماعة باتحاد مصائرها في الماضي والحاضر والمستقبل ، فلا تكون القومية قومية الا اذا تطلعت الجماعة الى الماضي ، وشعرت ان تاريخاً قد مر عليها فجمعها في مصير واحد ، واتجاه واحد يربط بين عروقها وتقاليدها . ولا تكون قومية الا اذا أدركت الجماعة ان في حاضرها ما يجمعها ويكتلها من اتحاد في البيئة الجغرافية او في اللغة ، او في المصالح المشتركة الاقتصادية، ولا تكون قومية الا اذا تطلعت الجماعة الى المستقبل فآمنت بأن لها رسالة يجب ان تؤديها ، وانها لن تؤديها الا وهي جماعة متكتلة متحدة .



والقومية بعد هذا ، ليست حدثاً جديداً في التاريخ ، فمنذ عرف المجتمع عرفت القومية ، ولكنها انما اتخذت اشكالاً مختلفة وألواناً متضاربة باختلاف العصر والثقافة ، وحين يقال إن القومية والشعور القومي إنما هما نتاج القرن التاسع عشر ، فإنما يقصد هذا المعنى الجديد الذي فهمه الغرب من القومية وهو يختلف عن المعنى الذي يضمه قادة الجيل العربي للقومية اختلافاً بيناً كما سيأتي .

فالقومية،هذا الشعور الحي باتحاد المصير في الماضي والحاضر والمستقبل، أساس من أسس المجتمع لاغنى عنه ؛ على أن الحضارة الغربية في القرون الأخيرة خلعت عليها لوناً أفسدها وصرفها عن وجهتها المفيدة الحقيقية ، حين تعصب كل لقوميته تعصباً دفعه إلى أن يؤمن بأن قوميته وحدها هي التي لها حق الحياة ، وهي أفضل القوميات جميعاً ، وأن عليها أن تستغل العالم بأجمعه ، إن تمكنت ، لفائدة قوميتها .

هذا المعنى الذي حوّل القومية من مفهوم انساني رفيع يهدف إلى تأدية رسالة إنسانية عالمية ، إلى مفهوم أناني استغلالي حقير ، يهدف إلى تسخير بعض اجزاء العالم لبعض أجزائه الأخرى ، هذا المعنى الذي آمن به الغرب فأوصل العالم إلى هذا الدرك السحيق من الفوضى والتنافس الحقير ، نقول آمن به الغرب ولا نستثني ؛ فلقد رأينا ألمانيا وإيطاليا تؤمنان به وتعلنانه وتعملان على تنفيذه ، ورأينا انكلترا وفرنسا وامريكا تؤمن به وتعمل على تنفيذه دون أن تعلنه إعلاناً صريحاً . . .

والطليعة العربية التي تقاتل الاستغلال في كل وجه من وجوهه لأنها تؤمن بقيمة الانسان الحر ، فحاربت النعرة العائلية والعصبية الطائفية ، والتسلط الاقطاعي والاستعمار بشتى صوره لأنها جميعاً صورة من صور استغلال الانسان للانسان . وفي الوقت الذي نرى فيه القومية الغربية



قومية استغلالية ، أبدت الاستعمار واشعلت الحروب، وقسمت مناطق النفوذ في العالم ، فان الطليعة العربية تتطلع إلى القومية السامية التي هي معنى انساني يجمع بين الأمة الواحدة لفائدة هذه الأمة ولفائدة الانسانية جمعاء دون استغلال ودون استعباد أو تعصب ذميم .

إن مفهوم القومية التي تتطلع اليها الطليعة وتؤمن بها ، معنى أو مفهوم يدفع إلى رفع مستوى الأمة في نهضة حقيقية شاملة كل نواحي الحياة ، وإزالة كل الأشواك التي تعترض طريق هذه النهضة سواء كانت هذه الاشواك منبعثة من الداخل أو طارئة من الخارج ، وكلما كان الشعور بالقومية أقوى وأشد كانت النتيجة أقرب واكثر توكيداً .

إن هذا المعنى من معاني القومية الذي يهدف إلى خير الأمة ، ومن ثم إلى خير العالم أجمع لا يتعارض مع التعاون مع أية أمة أخرى تؤمن نفس الايمان ، وترمي إلى نفس الغايات . غير ان هذا التعاون لا يعني انحلال القوميات ، لان الامم ما هي الا صورة مكبرة عن الأفراد ، فكما يختلف الأفراد بعضهم عن بعض ، فيؤدي كل منهم عملاً يختلف عن عمل الآخر ، ومع ذلك فقد يشتركون في انهم يؤدون خدمات عامة ، كذلك الأمم قد تسعى جميعاً لخير الانسانية،ولكن كل امة مهيأة لأن تقوم برسالة تختلف عن رسالات الأمم الأخرى بما يفرضه عليها تاريخها وبيئتها وثقافتها وآمالها في المستقبل .

(* * *)

الدين والحركة العربية البنّاءة

الحركة العربية التي نعنيها هنا ، هي الحركة العربية التي ترتكز على القاعدة الشعبية وحدها ، ونريد لها ان تشيع في حياة العرب الحديثة



وفي وسط الجمود والجحود والنفعية والانحلال ، حركة إيمان غض عميق تستقطب النفوس النقية السليمة ، وتجتذب الارادات القوية الصادقة ، وتجمع حولها الافراد المشبعون بحب الأمة العربية المؤمنين بعظمتها ، الذين لم يعممهم ما طرأ على هذه الأمة من فساد عن رؤية جوهرها وإمكانيات مستقبلها ، ولم تستطع مغريات الواقع وصعابه أن تغلب فيهم ارادة العمل للكشف عن هذا الجوهر وبعث تلك الامكانيات . فنشوء هذه الحركة إذن إنما هو دليل ساطع على الايمان ، وتوكيد للقيم الروحية التي ينبع منها الدين .

ولكن هذه الصفة نفسها ، صفة الايمان المميزة بهذه الحركة هي التي تفرض عليها الاصطدام بجميع الحركات التي تنكر الايمان أو تتستر بإيمان سطحي زائف. فقد كان ظهور هذه الحركة وتبلورها إيذاناً بحرب صريحة على الشيوعية باعتبارها حركة مادية سلبية حاقدة ، وعلى القومية اللفظية الرائجة التي تمثل الجفاف والنضوب والعجز عن الخلق ، وترى في الواقع الفاسد الحقيقة النهائية فتعدم كل السيطرة عليه ، كما أنه لم يكن بدٌ من التعرض للتدين الرائج الذي تتمثل فيه ايضاً هذه الشوائب .

لذلك فلا بد من ان تتحدى هذه الحركة البنّاءة منذ ظهورها ، هذه المظاهر المريضة ، وان ترجعها كلها إلى سبب واحد هو فقدان الثقة بالنفس ، فالشيوعية ليست إلا يقظة مصطنعة للذين فقدوا الاتصال بروح امتهم ، ويئسوا من كل خلاص يأتي من داخلها فارتضوا خلاصاً خارجياً ومصطنعاً مشوهاً ، والقومية الرائجة ارتضت بالمرض حالاً عادية سوية ، وأقرت النفعية والعبودية والكذب قيماً ثابتة للمجتمع ، لان الثورة على هذه المفاسد كانت تقتضي منها ثقة بقدرة الأمة على التغلب عليها . والتدين الرائج فقد كل صلة بالروح والحوافز التي كانت مصدر الدين بالماضي ، والتي جعلت منه حركة إحياء وتجديد وبناء ،



وآل الى حالة من الجمود والمحافظة والجهل فسحت أرحب المجال للرياء والاستغلال .

هذه الحركة القومية تدعو الى مفهوم جديد للحياة القومية نفسها وللحياة بصورة عامة ؛ قوامها الايمان بالقيم الروحية الانسانية ، وبقيمة الروح العربية الاصيلة ، ومظهرها الانفصال الحاسم عن مفاسد الواقع ومكافحتها في طريق صاعدة شاقة . تسير فيها الامة ببطء وجهد نحو الاتصال بروحها من خلال هذا الصراع الدامي بينها وبين واقعها . لذلك لم يبق في مفهوم هذه الحركة مجال لأي تديّن لا يحمل آثار هذا الصراع المثالي . وما دامت هذه الحركة روحية ايجابية فانها لا يمكن ان تفترق عن الدين او تصطدم معه ، ولكنها تفترق عن الجمود والنفعية والنفاق .

وهي حركة قومية تتوجه الى العرب كافة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ، وتقدس حرية الاعتقاد ، وتنظر الى الأديان نظرة مساواة في التقديس والاحترام ، ولكنها ترى الى جانب ذلك في الاسلام ناحية قومية لها مكانتها الخطيرة في تكوين التاريخ العربي والقومية والعربية ، وتعتبر هذه الناحية ذات صلة وثيقة بتراث العرب الروحي وبميزات عبقريتهم . ولا بد ان تكون هذه الحركة اول من يوضح هذه الصلة ويضعها في صيغتها النهائية فتحل بذلك أزمة مزمنة وتنقذ القومية العربية من مفهومين منحرفين : مفهوم القومية المجردة الذي يفرض عليها الاصطناع والفقر الروحي ، ومفهوم القومية الدينية الذي يقضي عليها بالتناقض والتلاشي .

فالاسلام من حيث هو دين صرف ؛ مساوٍ لغيره من الأديان في الدولة العربية التي تساوي بين جميع مواطنيها وتحترم حرية عقيدتهم ،



والاسلام من حيث هو حركة روحية عربية امتزجت بتاريخ العرب واصطبغت بعبقريتهم وأتاحت ظهور نهضتهم الكبرى ؛ له مكانة خاصة في روح القومية العربية وثقافتها وحركة انبعاثها ، الا ان هذه المكانة لا تفرض فرضاً بل تولد من الحرية وتستمد من قوة الروح ومن مدى اتصال العرب بروحهم وتجاوبهم الحر .

وبهذا المعنى تستلهم هذه الحركة من الاسلام تجدده وثورته على القيم الاصطلاحية كما تستقي من نبعه فضـــائل الايمان والمثالية والتجرد عن المنافع الشخصية والمغريات الدنيوية في سبيـل نشر المبادىء التي تنقذ العرب في هذا العصر من ضعفهم وتفككهم وانخفاض مستواهم الروحي والاجتماعي . واخيراً يستمد هـــذا البعث العربي من حركة الاسلام الخالدة قوة الصبر والمقاومة لتيار الواقع المريض، ويجد فيها قدوة رائعة تحتذى في الغيرة الصادقة على مصلحة الامة ، وفي معالجة امراضها بجرأة وصدق دون تملق رخيص للعواطف السطحية ، ودون استناد الى قوى الجهل والحقد وعبودية النفس والفكر ، وهو مؤمن بان هذا الاسلوب المنسجم ، من سمو المبادىء التي ينادي بها ، هو الاسلوب الذي يكتب له النجاح آخر الامر ، وكما كان ذلك في الماضي ، وكما سيكون دوماً .

• • •

واجب الشباب القومي

إن الحديث عن الواجب قد يثقل على البعض لأنهم يعتقدون أن الحديث عن الحق أولى ، وعلى هـــؤلاء ان يعلموا أن الواجبات قبل الحقوق وان شريعة الحياة تقول: إعمل واجبك تنل حقك ،لا العكس.

والحقوق التي يتطلع اليها أيّ إنسان لا تتعدى الحياة الحرة الكريمة في مجتمع حرّ كريم ، والحياة الحرة للفرد لا توجد إلاّ في مجتمع حر ، واذا توهمنا وجودها بغيره نكون مخطئين . ولنسأل أنفسنا الآن : هل المجتمع العربي حر ؟ لا حاجة بنا الى التفكير فالجواب معروف، هو ان المجتمع العربي مقيد ، والتقييد معناه العبودية ، والعبودية تلتصق بكل فرد في مجتمعنا . واذا أردنا أنا وأنت أن نصبح أحراراً علينا أن نحطم القيود التي تطوقنا ومن ثمّ نستطيع أن نحطم القيد الكبير الذي يقيد مجتمعنا لكي ننال الحرية الكاملة . ولتفسير هذا نقول إن على الانسان العربي أن يتحرر اولاً من الخوف ، هذه العقدة النفسية التي خلقتها في المجتمع العربي قرون من الاضطهاد والكبت خلال عصور الطغيان المظلمة التي عاشها المجتمع العربي وهو يكتم طبيعة الانطلاق التي فطر عليها . على الانسان العربي اليوم ان يتحرر من الخوف لأن عصر الحرية قد بزغ فجره ، ولأن الواقع العربي اليوم يتطلب من كل منا الشجاعة الكافية لكي نقول : لا ! هذه الكلمة التي يرهبها الطغـــاة ، ويحاولون بكل الوسائل ان يقضوا عليها وعلى قائلها ، ولكنهم لن يستطيعوا القضاء على شعب بأكمله . وعلى الانسان العربي اليوم أن يحرر نفسه من التقليد الجامد الذي وقف عنده المجتمع العربي نتيجة للرجعية الدينية والاخلاقية التي ورثناها عن القرون الاولى ، هذه الرجعية التي حطمت فينا قوى الابداع التي خلقتها فينا الطبيعة الحرة التي نمت فيها جذورنا الأولى . والتقليد الجامد هو الذي يشجعه الطغـــاة في كل العصور وهم يجدون دائماً انصاراً من الشعب نفسه الذي يقدس كل ما يمت إلى قشور الدين بصلة ولو كانت هذه الصلة معدومة أصلاً . ولكي يتحرر الانسان العربي من هذا التقليدعليه أن يتعلم التفكير الصحيح ،ولن يتم له ذلك إلا إذا استطاع أن يتصل بالثقافات الحديثة القريبة والبعيدة وليجعل رائده في البحث والحكم العقل والعقل وحده .



وعلى الانسان العربي أن يحرر نفسه من مركب النقص الذي أوجدته الصدمات الكثيرة التي مرت بالمجتمع العربي وما أصيب به العرب من نكبات وما لاقاه العرب من خيبات رغم كل ما بذل من تضحيات. يجب ان نتحرر من هذه العقدة لأننا في الحقيقة لم نزل في بداية الطريق. وقد مرت امم كثيرة بنفس الدور الذي مرّت به أمتنا ولاقت من الصعاب أضعاف أضعاف ما يواجهنا اليوم؛ بل إن أمماً كادت تمحى من الوجود كالأمة الألمانية مثلاً ولكن إيمان هـــذه الامم بمستقبلها جعلها تخرج من المحن أقوى مما كانت وأشد تماسكاً. والايمان إذا تملك انساناً شحذ همته وخلقه خلقاً جديداً وجعل لعمله لذة كبرى وخصوصاً إذا كان هذا العمل يتعلق بمصير امته التي احبها وآمن بمستقبلها. ونحن إذا عرفنا أن تاريخنا الحديث لم يزد عمره بعد عن رُبع قرن حققنا فيه الشيء الكثير، إذا عرفنا ذلك انقشعت غيوم اليأس من آفاقنا واشرق نور الامل وانبسط مجال العمل فسيحاً. واذا ما تحرر الانسان من مركب النقص هذا وآمن بامكانيات وطنه وامته وبامكانياته كانسان حر خلاّق مبدع، واذا ما تحرر الانسان من الخوف الذي يكبل إرادته الحرة المنطلقة، واذا ما تحرر من التقليد الجامد ودرس ما حوله دراسة واعية أساسها العقل المتحرر؛ إذا استطاع ان يتحرر من قيوده هذه أمكنه ان يتجه إلى قيود مجتمعه ويخوض معركة الحرية من اجل وطنه وامته. ولبحث ما يستطيع هذا الانسان ان يفعله لأمته ووطنه سنفرد بحثاً خاصاً ونستطيع ان نعتبر هذا الموضوع مقدمة لذلك البحث.

• • •



شهداء العروبة

•

المجد غاية كل أمة تشعر بحيويتها ، وسبيلها إليه سلامة استقلالها ، وحفظ سيادتها ، وتمتعها بحريتها .

والحرية نزعة شريفة ، تبذر بذورها في قلوب أبناء الأمة التي يخصب فيها هذا النبت الكريم . وتتفاوت الأمم في تمثلها الحرية بتفاوت عدد القلوب التي تصلح لغرس نبتتها . فان كانت هذه غاية في الكثرة في امة ، رأيتها قد بلغت السماء مجداً ورفعة ، وان توسطت تأرجحت الأمة بين البقاء والفناء . وان شحت حكمت عليها بالموت .

فأحرار الامة اذاً مادة عزتها ، وعمدها التي يقوم عليها كيانها ، وعدتها التي تدرأ بها عوادي المعتدين ، والدم الذي يجري في جسدها فيمنحها القوة التي تحطم بها كل قيد يراد تقييدها به .

واذ شئنا أن نجمل القول قلنا : انهم الثمن الذي يمكنها ان تشتري به أثمن حاجة ما ، وهل يكون ذلك الثمين غير سيادتها واستقلالها وحريتها : سبلها الى مجدها ؟؟

والأحرار ذوو نفوس كبيرة ، صافية مشرقة ، ينكشف لها مالا ينكشف لغيرها ، فتقدم على البذل والتضحية سخية راضية ؛ لأنها تسير في السبيل الذي مهد لها لبلوغ اهدافها . قلوبها مستودعات امينة للدماء التي تستعمل عند الحاجة لارواء غراس حرية الأمة ؛ تسيلها اذا تعطشت هذه الغراس لترويها وتنميها . وارواحها ودائع عندها ، تؤديها لأمتها



التي اودعتها إياها ، إما أرادت ان تشتري عزاً وسؤدداً .

وتبعاً لهذا رأينا احرار العرب لايقلون عن غيرهم من احرار الأمم تضحية وفداء .

ولو اردنا ان نعد شهداء العروبة من يوم ذي قار الى هذه الساعة لأعجزنا ذلك لانهم فوق الاحصاء .

واذا ما رحنا نكرم بهذا الشهر القافلة التي ذكرنا بها السادس من مايس ، فانما نريدهم وسيلة ، نحيي في أشخاصهم شرف البطولة العربية ، والتضحية التي قام عليها « المجد العربي » التليد ، والتي سيقوم عليها « المجد العربي » الطريف .

هذا ، ولأن الظرف يريدنا ان نتخذ منهم برهاناً ساطعاً، على بطلان ما يراد لنا ، والعودة بنا الى عهد مجازر جمال ، وانور ، وطلعت ، وغيرهم من وحوش الأتراك الذين يزيدون على وحوش الغاب شراسة ؛ لأنهم راحوا ينتزعون فرائسهم من وسط ارقى مدن العرب وازهاها ، ويتخذون ساحاتها لاجرامهم الدنيء .

اجل ايها القافلة الكريمة :

فلقد اراد الوحش الغادر ان يميتكم ومن سبقكم فأحياكم وخلدكم . اراد ان يخفت اصواتكم ، فأرسلها داوية مجلجلة ، من على منابر المجد ليسمعها العرب وغير العرب في كل صقع ؛ فيتأكد العرب ان امتهم ما زال فيها ولا يزال بناة للمجد، وليعرف غيرهم ان امة انتم من رجالها لا بد وان تحيا الحياة التي خلقت لها .

أراد ان يمحو صوركم من الوجود فثبتها في اذهان العرب جيلاً بعد جيل . واراد ان تعتبر امتكم بمصيركم فتستكين ، ولكنها اعتبرت بما صرتم اليه من شأن ورفعة ، فثارت لتتم ما بدأتم به .



وها هي الاحتفالات بكم تجري في اكثر من عاصمة عربية ، ولكنها — ولا بد من ذلك — ستكون في عاصمة العرب الواحدة ، لتقرعيونكم بالغاية المثلى التي عملتم من اجلها.

ايها الشهداء الابرار :

انما يعشق المنايا من الاقـــوام من كان عاشقاً للمعالي
وكذاك الرماح أول ما يكسر منهن في الحروب العوالي

يحيى العارف

• • •

عقيدة وهدف

•

لا شك ان الانسان قد خطا خطوات فسيحة نحو حياة المدنيـــة والحضارة ، وهذه الحياة لها مستلزماتها الناتجة عن تأثيرات خاصة لا مناص له من أن يتأثر بها ، واهم هذه المستلزمات خلوه — اعني الانسان — من رواسب الحياة البدائية ، تلك الحياة التي كانت تفرض عليه ان يفكر تفكيراً لا يتعدى ظله ، فالمهم المهم عنده ان يشبع ، ولو كانت اللقمة مغتصبة من فم عزيز لديه ، وأن يأوي إلى مغارة تقيه شر الوحوش ، ولو أدى بـه الأمر الى شق راس إنسان سبقه الى احتلال هذه المغارة . لقد ولت تلك الحيـاة المنطوية على الأنانية المحضة ، وقطعها الانسان ، واجتازها منذ آلاف السنين ؛ فانتقل منها إلى حـياة الأسرة ؛ فحياة الجماعة ، فحياة القبيلة ثم الى حياة القرية او المدينة ، ومن هذه الى حياة القطر ، واجتازها الى المجموعة الكبيرة وإن انتشرت في عدة اقطار ؛

وسيجتاز هـذه المرحلة بلا شك بعد أن تتم موجتها – الى حياة اجتماعية جديدة قد تقوم على التعصب القاري ولكن بعد زمن طويل !

والعرب كغيرهم من شعوب الأرض تأثروا بهذا التطور الطبيعي ، والعوامل التي أثرت في غيرهم من شعوب الارض أثرت فيهم أيضــاً ؛ فهبوا – أعني المفكرين الواعين منهم – ينادون بالتكتل القائم على الأسس التي لجأ إليها غيرهم ، لانهم اجتازوا عصبية القبيلة والقرية والمدينة وعصبية القطر ايضاً ، ولانهم شاهدوا بأم أعينهم تكتل أبناء الشعب الواحد في كل صقع من أصقاع المعمورة ، ولأنهم رأوا بأم أعينهم أن هذا التشتت لم يفد غير الاستعمار والمستعمرين ، وأنهم في حياة لا تؤهلهم لأن يكونوا سعداء أعزاء في هذا الوجود !

فلم يدع اليوم ذوو الدعوة القومية الى شيء جديد غريب ، وإنمـا يدعون الى مشروع – ولا أقول رسالة – سبقهم إليه كل من كان في وضع يشبه الوضع الذي هم فيــه ؛ مشروع يحس كل عربي أنه ضالته المنشودة ، وحلمه الجميل الذي يجب أن يتحقق ، وغايته المثلى التي يحمد عند بلوغها التعب والكفاح ! هذه هي دعوة القوميين المنبثقة عن عقيدة صادقة ، وهي دعوة واقعية بكل ما تحمل لفظة الواقع من معنى ؛ لأنها مستمدة من شعور وأحساس الفرد العربي البائس الذي اجتـاز – كما قلت – عصبية القرية منذ آلاف السنين ، وهـذا هدفهم – مشروع الوحدة والتكتل ولم الصفوف – لا ليعتدوا على الناس ولا ليستعمروا غيرهم ، وأنما ليتحرروا ، ويستقلوا ، ويعيشوا في بـــلادهم أسياداً لا صعاليك .

